

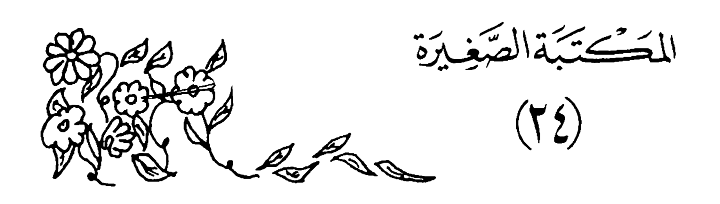
# خولة

## بنت الأزور

عبد العزيز الرفاعي




دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع



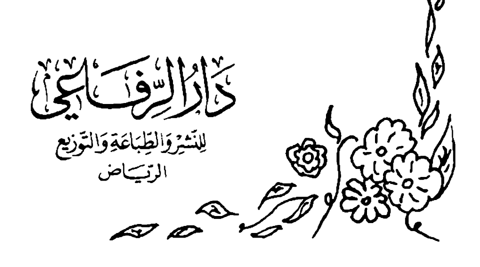
المكتبة الصغيرة

(٢٤)

# خولة بنت الأزور

## البطلة الأسطورة

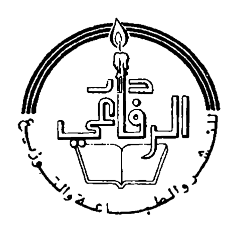
عبد العزيز الرفاعي



دار الرفاعي
للنشر والطباعة والتوزيع
الرياض

الطبعة الأولى : ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م
الطبعة الثانية : ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م






منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص. ب: ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١ - تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس: ٤٠١٣٦٧ (الفرات) - فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١

بسم الله الرّحمن الرّحيم

والحمد لله وحده ...

والصّلاة والسلام على سيّد البشر أجمعين ...

# مقدمة الطبعة الأولى

لم يكن في حسباني، في البدء، أن أكتب شيئاً عن «خولة بنت الأزور» رغم أنها تتمتع بشخصية باهرة.. سحرت كتاب العصر، فأبرزوا بطولتها وتحدثوا عنها كثيراً.. ورغم أنني وضعت، نصب عيني، منذ مضيت في نشر هذه السلسلة «المكتبة الصغيرة»، أن أجعل فيها للمرأة نصيباً بارزاً.. جاء من ثماره كتابي «أم عمارة».. الذي غدا في إحدى طبعاته كتاباً مدرسياً في مدارس البنات..

وكان من ثماره أيضاً كتاب «كرائم النساء» للكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ «أحمد محمد جمال».. وهو كتاب ناجح صادف رواجاً عجيباً..

أقول: لم كن أقصد منذ البداية، أن أكتب شيئاً عن «خولة بنت الأزور».. ولكن ساقني إلى الحديث عنها بحثي في حياة «ضرار بن الأزور» الصحابي البطل الفارس الشاعر.. فقد أفضى بي إلى بحثين آخرين.. أحدهما عن ابنه «ارطأة بن سهية» والآخر عن «خولة بنت الأزور». وقد أعان الله

عز شأنه على نشر كتاب (ضرار) فكان الكتاب التاسع عشر من هذه السلسلة.

ولكن.. هل كانت «خولة» بطلة حقاً..؟ بل هل كان هناك في تاريخنا امرأة تدعى (خولة بنت الأزور).. سواء أكانت بطلة أو لم تكن؟.

أم هل كانت «خولة» أسطورة سواء في شخصيتها أو في بطولتها..؟.

ذلك ما أحاول أن أعالجه في هذا الكتاب آملاً أن أهدي إلى القراء، شيئاً جديداً أو مفيداً.. تاركاً المزيد من البحث.. للمتعمقين في التاريخ لعلهم يضيفوا شيئاً.. أو يجلوا غموضاً.. وبحسبي أن أخطو في هذا الطريق، خطوة ما.. مهما كانت قصيرة أو صغيرة.

ومن الله أستمد دائماً العون والتوفيق فله الحمد أولاً وأخيراً.

عبد العزيز الرفاعي

لندن ٢٢ شعبان ١٣٩٦ هـ
١٩ أغسطس ١٩٧٦ م

# مقدّمة الطبعة الثانية

هذه الطبعة الثانية من هذا الكتيّب، تقدمها دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، بعد أن نفدت الطبعة الأولى.

وليس لدي ما أضيفه.. سوى أن أقول إن هذا البحث المتواضع، قد أثار شيئاً من الجدل، كما أثار شيئاً من الاعتراض.

ومهما يكن الأمر فإني أرحب بكل نقاش هادىء هادف، ولكن بالإجمال لم أجد بين اعتراض المعترضين ما يدعوني إلى تغيير شيء من الحقيقة الواردة في هذا الكتيّب..

ولكني أجد نفسي مضطراً إلى أن أذكر، أن هناك بعض الباحثين، ارتكز على الحقائق الواردة فيه، ولكنه ضنّ بكلمة عرفان يذكر فيه هذا المصدر المتواضع. ولا أدري لماذا؟.

إنني حينما أضع هذه الطبعة الجديدة بين يدي القراء، أتمنى أن يظل هذا الموضوع حياً في أذهانهم.

وبالله التوفيق

عبدالعزيز الرّفاعي

الرياض ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ

# خَوْلَة : البَطَلَة

إنها فتاة رائعة . .

ليست لأنها حسناء فقط . . بل هي أيضاً محاربة . . من طراز عجيب . . تشق الصفوف . . وتجندل الرجال الأبطال . . وتهزم الجموع . . وتنقذ الأسرى . . وتجتاز إلى أهدافها الخنادق والحصون لا يكاد يعوقها عائق . . ! .

فارسة تجيد ركوب الخيل، وتضرب بالسيف وبالعمد . . !

وهي تأتي في فروسيتها وشجاعتها بالأعاجيب وتبهر الرجال المحاربين . . بل هي تبهر صناديد البطولة . . ويكفي أن تشبه بخالد بن الوليد رضي الله عنه . . بل لقد كانت تحارب في صفوفه . . فلا تكاد تتميز عنه . .

وكانت إلى ذلك كله . . شاعرة . .

وإذا كانت الخنساء قد بكت أخويها، فشغلت ببكائها الدنيا والناس . . فقد كانت لخولة أيضاً أشعار في أخيها

ضرار. . كلما فقدته. . وقد فقدته أكثر من مرة فبكته في كل مرة. . واستنفرت الرجال من أجله، وعملت على استخلاصه من أيدي الأعداء. . حتى يتم لها إنقاذه. .

وحينئذ تكف خولة عن الشعر. . حتى تفقده من جديد. .

ولكن شعر خولة لا كشعر خناس. . فهو أرق. . وألين. . وأسلس ألفاظاً. . وإن كانت تراكيبه ليست على ذلك الإحكام الذي نعهده في شعر الخنساء. .

أما ميدان بطولة «خولة» فهو الشام. . فقد عاصرت فتوحات الشام، مع خالد بن الوليد. . سواء أكان خالد قائد جيش. . أو مجرد محارب باسل يبذل بطولته في عداد الأبطال المجهولين. . وما أكثر الأبطال المجهولين. . في ميادين القتال، أو في ميادين الحياة. . !.

لقد رافقت أخاها ضراراً. . فذهبت حيث ذهب. . وقاتلت حيث قاتل. . وكانت أينما تذهب تبهر الأنفاس، بسالة وشجاعة وبطولة خارقة. . !.

هذه قصة حياة خولة بإيجاز شديد. . أو هي ملامح بارزة من حياتها. . أجملتها إجمالاً ولم أقف عند التفاصيل. . ولم

أذكر الوقائع. . ولم أفصل المواقف البطولية. . التي وقفتها. .
ترى لماذا لم أفعل ذلك. . ؟.

لم أفعله لسبب واحد. . أعني لسبب وحيد. . هو أنني قد تبينت أن (خولة بنت الأزور) كانت أسطورة. . مجرد أسطورة ليس لها وجود حقيقي. . أو بتعبير آخر. ليس لها أي وجود في التاريخ الصحيح. . ولكني لخصت قصتها، على النحو الذي حدثنا به كتاب العصر. . والكتب المدرسية. . وفعلت ذلك كما قلت من قبل ـ في إيجاز شديد. .

وأما كيف تبين لي أن خولة بنت الأزور مجرد شخصية وهمية. . أو أن بطولتها، على الأقل كانت وهماً من الوهم، وخيالاً من الخيال. . فذلك ما أحدثك عنه يا قارئي العزيز في الفصل الثاني. . فعلى رسلك. . حتى تنجلي لك الحقيقة كاملة. .

❊ ❊ ❊

# خولة : الأسطورة

# تمهيد

بودي، أن لو بقيت «خولة بنت الأزور» حقيقة واقعة، اتغنى بها مع الذين يتغنون ببسالتها النادرة.. فإني في أعماقي احب أن أحتفظ بالبطولة لهذه البطلة.. وأود أن يظل تاريخنا العربي الإسلامي، عامراً بهذا الاسم البراق.. وأن يبقى مفخرة من مفاخرنا عامة.. ومن مفاخر بني جنسها خاصة..

ولو تابعت عاطفتي، لما ذهبت أبحث في بطون الكتب تحققاً عن هذه الشخصية.. ولاكتفيت بما كتبه عنها المعاصرون..

ولكـــن...

ولكن تجاه هذه العواطف التي تحرضني على الاحتفاظ ببطولة هذه البطلة بلا مساس.. مشاعر أخرى تنبع من واجبي الأدبي.. وإحساسي بأن تاريخنا يجب أن يكون مستنداً على الحقائق الناصعة لا على الأساطير.. وأن تكون مفاخرنا

ثابتة واضحة صريحة كالشمس.. لا يحيط بها غموض ولا يرقى إليها شك..!.

على أن تاريخنا ولله الحمد ـ غني بالبطولات.. كما هو غني بأسماء البطلات.. فإن فقد بطولة خولة، فإن هناك أخريات.. ولا ينقص ذلك من حرصي على إظهار المرأة البطلة في تاريخنا.. فقد عُنيت من قبل بإبراز بطولة الصحابية الباسلة «أم عمارة» فأصدرت عنها كتيباً من هذه الكتيبات كما سبق أن أشرت إلى ذلك من قبل..

بيد أني لا أنكر أن لبطولة «خولة» بريقاً خاصاً.. فهي بطلة شاعرة.. ومواقفها البطولية متعددة.. متنوعة.. أو هكذا استفاضت شهرتها.. قاتلت الروم في صفوف المسلمين.. وبهرت شجعان الرجال.. بما فيهم البطل القائد «خالد بن الوليد».. وأنشدت من الشعر قصائد عليها طابع الحنو. كل هذا صحيح.. ولكن أصح من هذا كله.. أن مفاخرنا كما قلت يجب أن تستند على الحقائق وحدها.. لا على الأساطير..

وهذا البحث مجرد محاولة صادقة لفهم الموقف التاريخي السليم تجاه هذه الشخصية العجيبة.. وقد جعلتني هذه

المحاولة أضع «خولة بنت الأزور» ضمن القصص الاسطورية.. ولا أعدّها في عداد القصص الواقعية.. على أن هذا لا يحول دون أن يغوص باحث آخر في أعماق التاريخ ليثبت العكس.. وما أحب ذلك إليّ!.

ولا أزعم أنني أول من تنبه إلى الشك في شخصية «خولة بنت الأزور» فإن هناك من كان مثلي على شك كبير من امرها.. وإن لم يعلن ذلك للناس.. وسيأتي الحديث عن هذا في موضعه..

**مكانتها:**

قلت من قبل: إن لخولة بنت الأزور، مكانة رفيعة في التاريخ الحديث.. فقد احتفى بها الحفاوة كلها، وأشاد ببطولتها، ومجدها كل التمجيد.. نجد ذلك في الصحف والمجلات والكتب.. والمقررات المدرسية.. وخاصة الكتب التي تتحدث عن بطولة المرأة.. بل نجد كبار المؤرخين والكتاب، قد اتخذوا من شخصيتها العجيبة نموذجاً رائعاً، يضربونه مثلاً رفيعاً للشجاعة.. وللخلق السامي.. والتضحية.. يفعلون ذلك دونما تمحيص لأصل القصة.. اخذ بعضهم عن بعض مأخوذين ببريق هذه الشخصية اللامعة..

على أنني في الواقع.. ألتمس العذر للمتأخرين منهم، فإنما هم يتابعون في ذلك من سبقهم..!.

أما كتاب القصص والملاحم فلا تثريب عليهم فهم ينسجون قصصهم وملاحمهم من الواقع، ومن الأسطورة على حد سواء.. بل ربما كانوا بالأسطورة أشد تعلقاً، وأكثر حفاوة.. لأنها غنية بالخيال، والخيال ألصق بالقصص والملاحم.. وأكثر إمتاعاً للقراء..

إنني أعذر على سبيل المثال ـ كاتباً بارعاً كالأستاذ «علي أحمد باكثير» حينما يستفيد من بطولة «خولة» في ملحمته الرائعة.. «عمر بن الخطاب»، فهي في هذه الملحمة عنصر فعال من عناصر نجاحها، إنها في لوحته البديعة إحدى مكوناتها الرئيسية.. وأشهد أن ما قرأته عن (خولة) في ملحمته من أجود ما قرأته عنها.. ولطالما قرأت عبر أيام عمري ـ عنها في الكتب والصحف والمجلات، بدءاً من الكتب المدرسية.. وكتب المطالعة بصفة خاصة.. وانتهاء ببعض المراجع الحديثة.. التي رجعت إليها حين إعداد هذا البحث..

ولست هنا بسبيل أن أعدد شيئاً من هذا فأمره معروف مشهور.

وأنا إذ أعذر كتاب الملاحم والأساطير.. أقف موقفاً مختلفاً تجاه الباحثين المحققين.. وتجاه واضعي المعاجم، وكتب التراجم، ودوائر المعارف.. ذلك لأن مثل هذه الكتب مظنة الدقة والتمحيص والتحقيق..

في المراجع الحديثة:

.. والآن.. ماذا تقول المراجع الحديثة عن «خولة بنت الأزور»؟.

أمثل هذه المراجع عندي، كتاب (الأعلام) للأستاذ الجليل «خير الدين الزركلي».. رحمه الله.

لقد ترجم لخولة، وكأنها شخصية حقيقية، وقال: إنها خولة بنت الأزور الأسدي، وإنها شاعرة كانت من أشجع النساء في عصرها.. وتُشبّه بخالد بن الوليد في حملاتها، وهي أخت ضرار بن الأزور وقال: إن لها أخباراً كثيرة في فتوح الشام، وإن في شعرها جزالة وفخراً، وإنها توفيت في أواخر عهد عثمان ٣٥ هـ/٦٥٥ م.. وأورد مصدره الوحيد وهو كتاب (الدر المنثور) للسيدة زينب بنت فواز العاملية.

هذا ما جاء عنها في الطبعة الثالثة من الكتاب، وفيها أشار

المؤلف الجليل في المستدرك الثاني أن نسبة الأزور الكندي عدلت فجعلت (الأسدي) أي أنه كان في الطبعة السابقة قد نسبها إلى كندة.

ولهذه النسبة الأخيرة حديث سيأتي به السياق.

أما في (الموسوعة الميسرة) فجاء عنها ما نصه:

«خولة بنت الأزور» (ت ٦٥٥) شاعرة كندية من أشجع نساء عصرها، تشبهت بخالد بن الوليد، أخت ضرار بن الأزور، لها أخبار كثيرة في فتوح الشام، توفيت في آخر عهد عثمان، وفي شعرها جزالة وفخامة وأكثره في الفخر. صورة من المرأة الفارسة، تحيط بها أساطير كأساطير «الأمازون» والنساء المقاتلات.

ومن هذا النص، يبدو جلياً، أن كاتبه، اعتمد اعتماداً كلياً على كتاب (الأعلام)، ونقل من الطبعة الثانية، أو لم يطلع على (المستدرك) فجعل خولة كندية ولم يتنبه إلى ما تنبه إليه الأستاذ الزركلي من أن ضرار بن الأزور كان من بني أسد، لا من بني كندة، وما دام كذلك فإن أخته تكون بطبيعة الحال أسدية وليست كندية.

ونجد أيضاً أن كاتب المادة، حينما أراد أن يتصرف في كلام الأستاذ الزركلي، لتضيع معالمه، ساقه تصرفه إلى أكثر من خطأ . .

فقد قال الأستاذ الزركلي: إنها تشبه بخالد بن الوليد في حملاتها، وقال كاتب المادة: تشبهت بخالد بن الوليد وشتان بين المعنيين. . فدلالة النص الأخير أنها كانت تتشبه ـ هي ـ عمداً بخالد بن الوليد، بينما دلالة نص (الزركلي) أنها كانت لبسالتها وسرعة حملاتها واختراقها الصفوف يشبهونها بخالد ابن الوليد.

وقال الزركلي: إن في شعرها جزالة وفخراً. . فقال كاتب المادة: (في شعرها جزالة وفخامة وأكثره في الفخر). .

فهو قد أضاف إلى الجزالة (الفخامة) وكأنه يريد أن يضع لفظاً مرادفاً للجزالة فلم يجد إلا (الفخامة) على ما بين اللفظين من فرق دقيق. . ثم قال إن شعرها أكثره في الفخر، بدلاً مما قاله الزركلي من أن في شعرها جزالة وفخراً. . فهناك فرق واضح بين أن يكون في شعرها فخر، وبين أن يكون أكثر شعرها في الفخر. . فهذا النص الأخير يدل على أن كاتبه قد استعرض شعرها كله فوجد أكثره في الفخر. .

وإذا كان لي من تعليق على النصين، أستبق به سياق هذا البحث.. فإنني لم أكد أرى في الشعر المعزو إليها جزالة.. كما أن أكثر شعرها ليس في الفخر.. وإنما هو في بكاء أخيها، والتفجع عليه كلما أسر.. أو ظنت أنه قتل..

شيء واحد جديد أضافه كاتب المادة، وهو أنه تحيط بها أساطير كأساطير الأمازون ونسائه المقاتلات.

ولقد أصاب حقاً في أن الأساطير تحيط بشخصية خولة.. ولو أنه تعمق هذه اللمحة الخاطفة.. وتتبع بارقها، لاتضح له أن شخصية خولة ذاتها شخصية أسطورية.. ولو أنه فعل لفتح طريقاً لاحباً للباحثين، ولأعاد النظر فيما نقله عن الأستاذ الزركلي..

أما صاحب (دائرة معارف القرن العشرين) الأستاذ (فريد وجدي) فلم يذكر من الخولات، على كثرتهن، إلا خولة واحدة.. وهي (خولة بنت حكيم السلمية) وهي صحابية مشهورة، روت عن النبي ﷺ، مع أن صاحب (القاموس المحيط) أورد عشر خولات، واستدرك عليه (الزبيدي) صاحب (تاج العروس)، فأورد عدداً آخر منهن..

على أنني قد أكبرت الأستاذ (فريد وجدي) حينما لم يقع في الخطأ المشهور، ولم يذكر (خولة بنت الأزور) ولم يشر إليها إطلاقاً . .

ومن المراجع الحديثة، كتاب (أعلام النساء) للأستاذ (عمر كحالة)، وقد وقفت على الطبعة الثانية منه، فوجدته قد ذكر (خولة بنت الأزور)، وجعل الأزور كندياً، وأنها خرجت مع أخيها ضرار، وذكر بعض وقائعها، على النحو الذي فعلته السيدة (زينب العاملية) مع تقديم وتأخير، وتنويع في العبارة وأورد لها نصين شعريين، الأبيات النونية التي مطلعها:

ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا
فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا؟

والنونية الثانية التي مطلعها:

أبعد أخي تلذ الغمض عيني
فكيف ينام مقروح الجفون؟

واختتم نُقُوله بقوله: وتوفيت في أواخر خلافة عثمان.

أما مراجعه فكانت على التوالي: (فتوح الشام) للواقدي، و (الدر المنثور)، و (ديوان الخنساء).

أي أننا نجد هنا، عدا الدر المنثور، مرجعين إضافيين هما (فتوح الشام) للواقدي، و (ديوان الخنساء)، وسيأتي الحديث عن هذين المرجعين.

وبعد، فلست بسبيل أن أستقصي كل المراجع الحديثة التي ذكرت (خولة بنت الأزور)، ولكني اكتفيت هنا بأهمها..

بيد أنني أود أن أنبه هنا، على حقيقة هامة هي أن جميع المراجع الحديثة، إنما تعتمد مباشرة أو بالواسطة على مرجعين فقط هما كتاب (الدر المنثور) لزينب العاملية، وكتاب (فتوح الشام)، بما في ذلك الكتب المخصصة بأدب النساء، فقد ذكرها الأستاذ (بشير يموت) في (شاعرات العرب)، ومن بعده فعل مثل ذلك (بديع صقر) في كتاب له عن شاعرات العرب، أيضاً، وهو يشبه الكتاب الأول كثيراً..

## المراجع القديمة:

وبعد.. فماذا في المراجع القديمة؟..

إن الجواب على هذا السؤال هو الذي يحدد معالم الحقيقة..!.

نعم.. ما هو موقف التاريخ القديم ومراجعه من هذه

البطلة التي احتفى بها التاريخ الحديث حفاوة بالغة!.

عرفنا مما مضى من أقوال، أنها من أهل القرن الهجري الأول.. وأن أخاها هو ضرار بن الأزور، وضرار رضي الله عنه صحابي معروف..، وأن بطولاتها تجلت في فتوحات الشام..

إذن فلنبحث في كتب السيرة.. وفي كتب الطبقات..

تذكر السيرة أن ضرار بن الأزور، وفد ضمن وفد قومه من بني أسد على الرسول ﷺ، ثم أصبح من رجال الرسول الذين يعتمد عليهم في المهمات، وأنه عندما ارتد قومه لم يرتد.. وبقي وفياً لدينه، ولصحبة الرسول العظيم.. بل لقد حارب المرتدين، بما في ذلك قومه، في صفوف المسلمين.. وقاتل في حرب اليمامة.. وبدأت صلاته بخالد ابن الوليد، رضي الله عنه، تتوثق من أيامها.. فانتقل معه إلى فتوحات العراق، واجتاز معه الصحراء إلى الشام، واشترك في وقعة اليرموك، وكان له فيها موقف بطولي مثير.

ولكن السيرة لا تشير من قريب أو بعيد إلى خولة..

وكتب التراجم التي تترجم لضرار، لا تشير إلى خولة لا في

أخبار أخيها ضرار.. ولا في تراجم النساء الصحابيات أو الملحقات بالصحابيات.. فلم يـذكرهـا ـ مثلاً ـ صـاحب (الإصابة) إطلاقاً ضمن من أحصى من النسوة، حتى أولئك اللاتي لم ينلن لقب صحابية.. وكان من الطبيعي أن يذكر خولة ضمن الصحابيات إن كانت صحابية، أو أن يذكرها ضمن من لهن مظنة صحبة..

وكذلك (طبقات ابن سعد) فقد ذكر خمس عشرة خولة، ليس بينهن (خولة بنت الأزور).

ولا ينبغي أن ننسى هنا، أن ابن سعد، إنما هو كاتب الواقدي وتلميذه.. والواقدي هو الذي يعزى إليه كتاب (فتوح الشام).

وإذا كانت (سيرة ابن هشام) لم تذكر خولة.. فماذا عن كتب التاريخ المعتمدة.. التي اشتملت، فيما اشتملت عليه على السيرة النبوية العاطرة؟.

هذا تاريخ الطبـري، عمدة التـواريخ، لقـد ذكر من الخولات خمساً ليس بينهن خولة بنت الأزور، وذلك بالرغم من كل ما جاء به عن فتوحات الشام!.

وإذا استعرضنا ـ أيضاً ـ ابن كثير، في السنوات المخصصة لفتح الشام، لم نجد ذكراً لخولة بنت الأزور!.

والسؤال الضخم.. هو كيف تهملها هذه المصادر الأمهات؟ على ما استفاض من شهرتها.. ومن شعرها ومن بطولتها.. ومن صلتها بصحابي بطل هو ضرار بن الأزور؟.

ليس من المعقول أن تهملها كل هذه المصار.. لو كان لها وجود حقيقي.. أو على الأقل لو كان لها أي دور تاريخي ملحوظ..!.

وإذا افترضنا أن كتب التاريخ قد أهملت الإشادة ببطولتها.. فإن كتب الأدب والشعر واللغة لا تهملها.. أليست شاعرة..؟ وهي شاعرة ليست من ذوات البيت أو البيتين.. أو القصيدة المفردة أو القصيدتين بل لها القصائد المتعددة.. وفي شعرها جزالة وفخر على حد تعبير الأستاذ الزركلي.. أو كما بالغ كاتب مادتها في (الموسوعة الميسرة) حينما قال: «في شعرها جزالة وفخامة»؟.

لا يوجد في كتاب واحد من كتب الأدب، القديمة المعتمدة ذكر لاسم (خولة بنت الأزور).

هذا كتاب (الأغاني) أوسعها وأشملها، ذكر ست

خولات، ليست بينهن (خولة بنت الأزور).

وكذلك الشأن في كتب الأدب الأمهات..

والكتب التي اهتمت قديماً بأخبار النساء، بصفة خاصة، مثل كتاب (بلاغات النساء) لابن طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ لم يرد بها ذكر خولة بنت الأزور.

وكتب اللغة؟..

هذا صاحب القاموس، أحصى الخولات من الصحابيات فلم تكن خولة بنت الأزور بينهن.. واستدرك عليه صاحب (تاج العروس) فلم تكن بين من استدرك..

هذا موقف المراجع القديمة من خولة بنت الأزور.. إنه السكوت المطبق.. والسكوت هنا يعني النفي!.

**المرجع الوحيد:**

والآن.. بعد أن استعرضنا المراجع القديمة.. واستنطقناها عن (خولة بنت الأزور) فلم تنطق بشيء.. فلننظر من أين دخلت أسطورتها إلى تاريخنا الحديث؟.

فلنرجع إلى كتاب (الأعلام) للأستاذ الزركلي من أين أتى بهذه البطلة الشاعرة..؟

إن الأستاذ الزركلي دقيق في ذكر مصادره.. وهذه الدقة من أكبر مميزات كتابه العظيم!.

لقد صرح أن مصدره هو كتاب (الدر المنثور في ذكر ربات الخدور)، ومؤلفة هذا الكتاب هي السيدة (زينب فواز يوسف العاملي).

ترى من هي هذه المؤلفة..؟ وماذا عن كتابها؟.

أما ترجمتها، فيقول صاحب (الأعلام) نفسه عنها فيه، إنها ولدت سنة ١٢٧٦ هـ/١٨٦٠ م وتوفيت سنة ١٣٣٢ هـ/١٩١٤ م، وإنها أديبة، مؤرخة، من شهيرات الكاتبات، ويقول عن كتابها (الدر المنثور)، إنه من أفضل ما الف في بابه..

ونعرف من هذا أنها أديبة معاصرة..

أما كتابها، فقد طبع لأول مرة في مطبعة بولاق سنة ١٣١٢ هـ، ثم جرى تصويره حديثاً من قبل دار المعرفة في لبنان..

وأكاد أجزم أن كل ما جاء في كتابات المعاصرين عن (خولة بنت الأزور)، إنما استند إلى هذا الكتاب إما نقلاً

مباشراً منه، وإما أخذاً عن مصادر نقلت عنه. .

ولكن. . ماذا قالت زينب العاملية عن خولة؟.

بدأت حديثها هكذا:

«خولة بنت الأزور الكندية:

«وهي أخت ضرار بن الأزور، وكانت مشهورة بالشجاعة والجمال، خرجت مع أخيها إلى الشام حين فتحها، في خلافة أبي بكر الصديق، وكانت تفوق الرجال بالفروسية والبسالة، ولها وقائع مشهورة لا يسعها المقام، إذا أحببنا إيرادها، ولكننا نقتصر على البعض منها. .».

«قال الواقدي في (فتوح الشام). .

ثم أوردت وقائع بعينها. . وأربع قطع شعرية لخولة. .

وقبل أن أتحدث عن تلك الوقائع والأشعار، أو أن أناقش شيئاً منها، أود أن أتريث قليلاً عند هذه الفذلكة القصيرة التي قدمتها السيدة (زينب فواز العاملية) بين يدي نقولها عن الواقدي، من كتابه (فتوح الشام):

١ ـ قالت في العنوان: إن خولة بنت الأزور كندية، ثم قالت تحته مباشرة، وبلا فاصل، إنها أخت ضرار ابن

الأزور، ولو أنها رجعت إلى ترجمة ضرار، وهي ميسورة، لعرفت أن ضرار بن الأزور، الصحابي الذي لازم (خالد بن الوليد) في حروبه إنما هو أسدي من بني أسد. . وبنو أسد من مضر، أي أنهم عدنانية. . أما كندة فهم من قحطان. . من اليمن. .

وهنا أحب أن أذكر القارىء الكريم بما قاله الأستاذ الزركلي عن كنديتها ثم أسديتها. .

٢ ـ ثم قالت إنها خرجت مع أخيها إلى الشام. . ومعنى هذا أنها مولودة قبل الهجرة. . فكيف إذن تهمل كتب السيرة والطبقات ذكر مثلها. .

٣ ـ إن جميع ما أضفته السيدة المؤلفة على خولة إنما هو مستمد من كتاب (فتوح الشام)، أي أنها اعتمدت اعتماداً كلياً على هذا الكتاب، ولم ترجع إلى غيره فهو مرجعها الوحيد.

وبعد. . فماذا في الدر المنثور عن خولة. . ؟ .

لقد نقلت عن (كتاب فتوح الشام) ما يلي:

«وقال الواقدي في فتوح الشام. . أنه لما أسر ضرار بن

الأزور في وقعة (أجنادين) توجه خالد بن الوليد بطليعة من الجيش لخلاصه، فبينما هو في الطريق، إذ مر به فارس، على فرس، طويل وبيده رمح، وهو لا يبين منه إلا الحدق، وقد سيق أمامه الناس؟ كأنه نار، فلما نظره خالد قال: ليت شعري من هذا الفارس؟ وايم الله إنه فارس! ثم اتبعه خالد والناس. وسار إلى أن أدرك المشركين، وقد حمل على عساكر الروم، كأنه النار المحرقة فزعزع كتائبهم، وحطم مواكبهم، فما كانت إلا جولة جائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء، وقد قتل رجالاً، وجندل أبطالاً.. وقد عرض نفسه للهلاك ثانية، واخترق القوم غير مكترث، وكثر قلق الناس عليه، لا يعلمون من هو؟ ومنهم رافع بن عميرة، ومن معه، **ظنوا أنه خالد، وقالوا: ما هذه الحملات إلا لخالد**.. وبينما هم على ذلك، إذ أشرف خالد بمن معه. فقال له رافع: من الفارس الذي تقدم أمامك؟ فقد بذل نفسه ومهجته. فقال خالد: والله إنني أشد أفكاراً منك، أعجبني ما ظهر منه، ومن شمائله، فقال رافع: أيها الأمير إنه منغمس في عسكر الروم يطعن يميناً وشمالاً. فقال خالد: معاشر المسلمين، احملوا بأجمعكم، وساعدوا المحامي عن دين الله، فأطلقوا الأعنة

وقوموا الأسنة، وخالد أمامهم، إذ نظر إلى الفارس، وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار، والخيل في أثره، وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل، فعند ذلك حمل خالد ومن معه، ووصل الفارس المذكور إلى جيش المسلمين فتأملوه، ورأوه قد تخضب بالدماء فصاح خالد والمسلمون: لله درك من فارس بذل مهجته في سبيل الله، وأظهر شجاعته على الأعداء.. اكشف لنا عن اسمك وارفع لثامك، ولم يخاطبهم وانغمس في الروم، فتصايحت الروم من كل جانب، وكذلك المسلمون، وقالوا: أيها الرجل الكريم.. أميرنا يخاطبك، وأنت تعرض عنه! أظهر لنا اسمك لنزداد تعظيماً، فلم يرد عليهم جواباً.. فلما بعد عن خالد سار إليه بنفسه.. وقال: ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بفعلك.. من أنت؟ فلما ألح عليه خالد، خاطبه الفارس من تحت لثامه قال: إنني أيها الأمير لم أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير جليل، وأنا من ذوات الخدور، وبنات الستور، وإنما حملني على ذلك أني محرقة الكبد، زائدة الكمد، فقال لها: من أنت؟ قالت: انا خولة بنت الأزور، وأخت ضرار المأسور بين المشركين، وإني كنت مع بنات العرب، وقد أتانى الساعي بأنه أسير

فركبت، وفعلت ما رأيت، وعند ذلك حمل المسلمون وحملت خولة. . وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الأزور، وقالوا: إن كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة، وأما خولة فجعلت تجول يميناً وشمالاً وهي لا تطلب إلا أخاها، وهي لا ترى له أثراً. . ولا وقفت له على خبر، وجعلت تسأل عنه فلم يجبها أحد، ولم تر من المسلمين من يخبرها أنه نظره، أو رآه أسيراً أو قتيلاً. فلما يئست منه، بكت بكاءً شديداً وجعلت تقول: يا ابن أمي ليت شعري في أي البيداء طرحوك! وبأي سنان طعنوك! أو بأي حسام قتلوك! يا أخي أختك لك الفداء، لو أني أراك أنقذتك من أيدي الأعداء. . ليت شعري أترى أني أراك بعدها أبداً. . فقد تركت يا ابن أمي في قلب أختك جمرة لا يخمد لهيبها، ولا يطفأ سعيرها. . ليت شعري ألحقت بأبيك المقتول بين يدي النبي ﷺ. . فعليك مني السلام إلى يوم اللقاء. . فبكى الناس من قولها عند سماعها ونياحها. . ».

ثم انتقلت السيدة العاملية إلى قصة أخرى فقالت:

«ومن وقائعها أيضاً ما ظهر من بسالتها يوم أسر النسوة في وقعة صحورا من أعمال الشام، وقد جمعت النسوة وقامت

فيهن خطيبة، وكانت هي من ضمن المأسورات فقالت: يا بنات حِمْيَر، وبقية تبّع، أترضين لأنفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيداً لأهل الشرك؟ أين شجاعتكن؟».

إلى آخر الخطبة التي سردتها. . .

«ثم حمل النساء أعمدة الخيام وضربن بها الروم. .

«وهجمت خولة وهجم النساء وراءها، وقاتلن قتالاً شديداً حتى استخلصت النسوة من أيدي الروم، وخرجت وهي تقول:

نحن بنات تبع وحِمْيَرْ
وضربنا في القوم ليس يُنكرْ
لأننا في الحرب نار تُسعر
اليوم تسقون العذاب الأكبر»

ثم تنقل فيما تنقله ـ قولها حين أسر ضرار في المرة الثانية في (مرج دابق):

ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا
فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا

فلو كنت أدرى أنه آخر اللقـا

لكنــا وقفنــا لـلوداع وودعنــا

ألا يا غراب البين هل أنت مخبري

فهـل بقدوم الغـائبين تبشـرنا؟

لقد كانت الأيام تزهـو لقربهم

وكنا بهم نزهو، وكانوا كما كنا

ألا قـاتل الله النـوى ما أمـره

وأقبحه! ماذا يريد النـوى منا!

ذكرت ليالي الجمع. . كنا سوية

ففـرقنـا ريب الـزمـان وشتتنــا

لئن رجعوا يوماً إلى دار غيرهم

لقمنا خفافـاً للمطايـا وقبلنا. .

ولم أنس إذ قالوا: ضرار مقيد

تـركنـاه في دار العــدو ويممنـا

فــما هــذه الأيــام إلا معــارة

وما نحن إلا مثل لفظ بلا معنى

أرى القلب لا يختار في الناس غيرهم

إذا ما ذكرهم ذاكر قلبي المضنى

سلام على الأحباب في كل ساعة
وإن بعدوا عنا.. وإن قربوا منا

«ثم بكت وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.. فوالله لأخذن بثأره إن شاء الله تعالى. ولما زحفت عساكر الإسلام إلى أنطاكية لأجل خلاص ضرار، سار معهم النساء اللاتي لهن أسرى، وفي مقدمتهم خولة بنت الأزور، وهي تنشد قولها في المراثي المبكيات:

أبعد أخي تلذ الغمض عيني
فكيف ينام مقروح الجفون
سأبكي ما حييت على شقيق
أعز عليّ من عيني اليمين
فلو أني لحقت به قتيلاً
لهان عليّ.. إذ هو غير هون
وكنت إلى السلو أرى طريقاً
وأعلق منه بالحبل المتين
وأنا معشر من مات منا
فليس يموت موت المستكين

وإني.. أن يقال مضى ضرار

لباكية بمنسجم هتون..

وقالوا: لم بكاك فقلت: مهلاً

أما أبكي وقد قطعوا وتيني..»

ثم تنقل صاحبة (الدر المنثور) قصة خولة، في أسر ضرار للمرة الثالثة في وقعة (دير المسيح) من أرض (البهنسا) فقد جاءت أيضاً لتخلصه، وكمنت مع مقاتلي المسلمين، فمر القوم ومعهم ضرار مكتوفاً، وهو ينشد شعراً.. أوردته المؤلفة.

«فما كان منها إلا أن كبرت وحملت وحمل معها الرجال حتى خلصوا ضرار من الأسر..».

.. تقول المؤلفة في ختام ما نقلته:

«.. وقائعها كثيرة، وقد أبلت بلاءً حسناً في فتوح الشام ومصر، وعمرت طويلاً، وكانت وفاتها في أواخر خلافة عثمان بن عفان، فعلى مثل هذه يأسف الدهر رحمها الله رحمة واسعة»..

إن كل ما أوردته السيدة (زينب العاملية)، ما عدا

الفذلكة والكلمة الختامية، منقول بالنص من كتاب (فتوح الشام)، وإن كانت تختصر كلمة من هنا أو من هناك ولكنها تحرص غالباً على النص، ولمن شاء الرجوع إلى الكتاب المذكور، فإني أدله على الصفحات، بحسب النسخة التي بين يدي منه، حينما أكتب هذه السطور.. وهي نسخة (دار الجيل)، وليس بها تاريخ الطبع:

١ ـ خولة الفارسة التي تشبه خالداً ص ٤٥ و ٤٦/ج ١.
٢ ـ في وقعة صحورا ص ٤٢ وما بعدها/ج ١.
٣ ـ قصتها في مرج دابق وشعرها ص ٢٨٥/ج ١.
٤ ـ شعرها في أنطاكية ص ٢٩٧/ج ١.
٥ ـ قصتها وأخيها في دير المسيح ص ٢٣١ وما بعدها/ج ٢.

على أن كتاب (الدر المنثور) لم يتقص جميع أخبار خولة التي وردت في كتاب (فتوح الشام)، بل اقتصر على بعض قصصها وأشعارها..

وإذا تأملنا هذه النصوص التي أوردتها مؤلفة، (الدر المنثور)، وما جاءت به من فذلكة وختام، نلاحظ ما يلي:

١ ـ أن هذه النصوص تشتمل على أساليب القصاص. أعني كتب القصص والحكايات التي وضعت لعامة الشعب لأغراض شتى. . وشاعت لدى الجماهير العربية منذ بدء القرن الهجري الأول، على تطور في غاياتها وأساليبها ومواضيعها. . فقد كانت مثل هذه القصص تروى في البدء في المساجد، ثم جرى تدوينها فيما بعد، وشاع تداولها، وحصل التزيد فيها وتطور أسلوبها. .

وفي أسلوب (فتوح الشام) نلاحظ التهويل والتكرار كمثل قوله في النصوص السابقة: «كانت شعلة نار. . كالنار المحرقة. .» أو استعمال السجع كقول: «فزعزع كتائبهم، وحطم مواكبهم. . وقتل رجالاً، وجندل أبطالاً فأطلقوا الأعنة. . وقوموا الأسنة». . «وأنا من ذوات الخدور. . وبنات الستور» «إني محرقة الكبد. . زائدة الكمد». . وكل هذه من سمات الأدب الشعبي.

٢ ـ إن خولة بنت الأزور، شبهت في حملاتها بخالد بن الوليد: «ما هذه الحملات إلا لخالد». ومن هنا قال الزركلي أنها شبهت بخالد.

٣ ـ إن خولة بنت الأزور، تقول في التحسر على أخيها

ضرار: (ليت شعري ألحقت بأبيك المقتول بين يدي الرسول. . ) وليس لهذا الخبر أي أصل تاريخي.

٤ ـ ترى أنها، حينما كانت ضمن المأسورات في وقعة (صحورا) وخطبت النسوة، وأرادت أن تستثير حماستهن خاطبتهن على اعتبارهن «بنات حِمْير وبقية تبّع» ولا غرو فهي في كتاب (فتوح الشام) كندية، وكندة قبيلة يمنية يصح أن يقال عن بناتها أنهن بنات حمير. . وبقية تبع. . وهنا يأتي الوهم الأكبر، فإن ضرار بن الأزور الصحابي صاحب خالد ابن الوليد، إنما هو من بني أسد، كما سبق أن أوضحت، وبنو أسد قبيلة مضرية عدنانية. . فإذا كانت خولة هي بنت الأزور حقاً فكيف يصح أن تكون كندية وأن تكون عصبيتها في حمير وتبع؟. .

وقد تكرر افتخارها بحمير وتبع، فجاء في شعرها بعد ذلك قولها:

نحن بنات تبّع وحمير
وضربنا في القوم ليس ينكر

٥ ـ إن الأبيات التي مطلعها: (ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا) تبدو ـ على علاتها ـ أرق من أن تكون من شعر صدر

الإسلام، الذي يلحق من حيث جزالته بشعر العصر الجاهلي.. وإذا قلنا إن صدورها من امرأة جعلها تتسم بهذه الرقة، وهو قول لا أماري فيه.. فأين نضع ما وصف به شعرها من جزالة وفخامة؟ على أن الحكم الصحيح على شعرها، إنما يكون نتيجة النظر في شعرها ككل، بعد أن يثبت وجود حقيقي لهذه الشخصية العجيبة!.

٦ ـ وجاء فيما ذكرته (العاملية) عنها قولها:

«وقائعها كثيرة، وقد أبلت بلاءً حسناً في فتوح الشام ومصر، وعمرت طويلاً، وكانت وفاتها في أواخر خلافة عثمان بن عفان»..

ونقف عند هذه العبارة، عدة وقفات، فهي تذكر أنها أبلت في مصر أيضاً، كما أبلت في الشام، ويدل السياق على أنها كانت في مصر أيضاً مع أخيها ضرار. الذي أسر في البهنسا. (البهنسا بمصر)، بينما يدل التاريخ الحقيقي لضرار، أنه لم يتجاوز الشام فقد توفي سنة ١٣ في وقعة (أجنادين) يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى، كما جاء في (البداية والنهاية) لابن كثير. أي أنه لم يذهب إلى مصر. ولم يشترك في فتوحاتها..

على أن رواية ابن كثير. . ليست الوحيدة في تحديد تاريخ وفاته. . ولكن الروايات الأخرى لا تبعد عنه كثيراً. . ويكفي أن أقول إنه لم يثبت في التواريخ المعتمدة أن ضراراً توجه إلى مصر. .

ثم تقول: إنها عمرت طويلاً. . وكانت وفاتها في آخر خلافة عثمان.

فإذا كانت خولة قد عمرت حقاً. . فمعنى هذا أنها عاشت عمراً قبل الهجرة، فهي إما أن تكون صحابية أو ولدت في عهد النبي ﷺ، ولم تكن لها صحبة. . وفي الحالتين فإن كتب تراجم الصحابة تترجم لمثلها. . ولكن هذه الكتب، كما ذكرت من قبل، لم تذكر اسمها إطلاقاً. .

على أنه ما دام الأستاذ الزركلي، قد اعتمد في (الأعلام) على (الدر المنثور)، وأن مؤلفة هذا الكتاب، قد اعتمدت بدورها على كتاب (فتوح الشام)، فإن واجبنا أن نفحص هذا الكتاب. . بيد أنني أؤثر أن أجعل الكلام عنه خاتمة المطاف. . وأن ألقي قبل ذلك، نظرة عجلى على المصدر الثالث الذي أضافه الأستاذ (رضا كحالة) إلى الكتابين المذكورين، في كتابه (أعلام النساء)، وهو كتاب (ديوان الخنساء).

## ديـــوان الخنســـاء:

سألت نفسي كثيراً، بعد اطلاعي على ما جاء في كتاب (أعلام النساء) عن علاقة (ديـوان الخنساء) بخـولة بنت الأزور.. وبعد لأي.. وبعد بحث ترجح لدي أن المقصود هو كتاب (شرح ديوان الخنساء)، وهو كتاب يضم، بالإضافة إلى ديوان الخنساء مراثي ستين شاعرة، من شواعر العرب، هكذا جاء في عنوانه..

والنسخة التي وقعت بين يدي من هذا الكتاب، ليس بها ذكر لمؤلفه، أو جامع مادته.. ولا عدد طبعاته، اللهم إلا تاريخ طبعه سنة ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م عن (دار التراث) وقد جاء ضمن أولئك الشواعر، ذكر خولة في صحيفة ١٤٧، وجاء في تقديمها «هي أخت ضرار بن الأزور الكنـدي، خرجت مع أخيها إلى الشام، لما فتحها المسلمون في أيام أبي بكر، فأسر أخوها في بعض الوقعات قرب أنطاكية، فلما بلغ أخته خبر أسره قالت ترثيه برثاء كثير منه ما رواه الواقدي..» ثم أورد قصيدة: (ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا..).

وهكذا نرى أن صاحب هذا الكتاب، يعود بنا أيضاً إلى

الواقدي، ويقصد طبعاً كتابه (فتوح الشام) على أنه أورد لها قصيدة أخرى مطلعها:

حل المصاب، فعم الويل والحرب
وكل دمع من الأجفان ينسكب

وهي قصيدة فيها أثر من جزالة.. لولا بعض اضطراب وهذا الاضطراب، مع ضآلة نسبة الجزالة في أبياتها الأخيرة.. لا يخول تعميم حكم الجزالة على شعرها كله.

والآن.. تبين لنا أنه في المراجع الحديثة.. ليس إلا مرجع واحد هو (الدر المنثور)، وأن هذا المرجع الوحيد يعود بنا إلى مرجع وحيد قديم هو (فتوح الشام) لكن هل هذا مرجع؟ وهل هو قديم..؟ لننظر:

**كتاب فتوح الشام:**

سبق أن أشرت، أن كتاب (فتوح الشام) ليس كتاباً علمياً أو تاريخياً بالمعنى الصحيح.. وأن صفة الكتب الشعبية القصصية هي الغالبة عليه.. وذكرت أمثلة من تعبيراته القصصية التي تشيع في أمثاله من الكتب.

ولكن مهلاً.. فإن الكتب الشعبية المماثلة لا تعزى إلى

مؤلف معلوم. . ولكن هذا الكتاب ينسب إلى الواقدي. وللواقدي في تاريخنا مكانة علمية تاريخية مرموقة. . لا يستهان بها، مهما قيل عنها أو حولها. .

الواقدي. . هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء. . وقد اشتهر بالأخبار (التاريخ) مع حفظه للحديث وروايته له. . وقد قبل أهل العلم أخباره، وتوقفوا عن تحديثه. . تولى القضاء أيام الرشيد في بغداد. . وله مؤلفات كثيرة. . يأتي في عدادها كتاب باسم (فتوح الشام). .

ولكن السؤال. . هل كتاب (فتوح الشام) الذي في أيدي الناس، والذي طبع طبعات متعددة قديمة وجديدة هذا الكتاب الذي تقبل عليه الأوساط الشعبية لما فيه من قصص وحكايات تتسم بالمغالاة، والمبالغة، خاصة في المواقف البطولية. .

هل هذا الكتاب، الذي تتشابه تعبيراته مع الكتب الشعبية الأخرى المتداولة في الأوساط الشعبية من أمثال (الزير سالم) و(حمزة البهلوان) و(عنترة بن شداد). . هل هو حقا الكتاب الذي وضعه الواقدي؟ الواقدي العلامة، المحدث، الأخباري، الراوية. . . القاضي. . ؟.

لننظر ماذا يقول عنه الأستاذ خير الدين الزركلي في كتابه (الأعلام) في مادة (محمد بن عمر الواقدي): «وينسب إليه كتاب (فتوح الشام)، وأكثره مما لا تصح نسبته إليه..».

ويكفي للوصول إلى هذا الحكم، أن يطلع أي قارىء محقق على هذا الكتاب، بل على بعض فصوله فقط ليتحقق من صحة ما قاله الأستاذ الزركلي.. ولكن العجب أن الأستاذ الزركلي نفسه، اعتمد في ترجمة خولة بنت الأزور على كتاب (الدر المنثور).. للسيدة زينب العاملية، التي لم يكن لها أي مصدر سوى كتاب (فتوح الشام).

على أنني لا أحب أن أخرج هذا البحث عن نطاقه المحدود، لأتحدث عن كتاب (فتوح الشام)، وإظهار ما به من زيف وتخريف.. وأحسب أن فيما سبق أن أوردته عنه ما يكفي للدلالة على ذلك.

إنني لا أتصور أن يجعل الواقدي، وهو من هو في علمه (خولة بنت الأزور) من كندة بينما أخوها من بني أسد.. مع ما هو معروف عن شهرة ضرار، وقدومه مع بني أسد، وإنشاده للشعر بين يدي رسول الله ﷺ، ودوره في حروب الردة، ومقتل مالك بن نويرة.. ولا يعقل أن يجعل الواقدي

والد ضرار قتيلاً بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام، وأن يجعل خولة صحابية فيلحق باسمها عبارة (رضي الله عنها) بينما لم يذكر أي كتاب من كتب السيرة أية ترجمة لها، ولا في كتب الطبقات..

من ذلك.. نستطيع أن نستنتج أن كتاب (فتوح الشام) الذي بين أيدي الناس، ليس هو الكتاب الذي وضعه الواقدي.. أو أنه قد شوه، وأضيفت إليه زيادات كثيرة..

وإذا سقطت الثقة بكتاب (فتوح الشام) المطبوع، فقد سقطت بالتالي روايته عن خولة بنت الأزور، وسقطت بالتبعية.. جميع الأقوال التي استندت إليه، سواء كتاب (الدر المنثور) أو غيره مما نقل عنه..

على أنه لا يفوتني قبل أن أختم الحديث عن الواقدي وكتابه (فتوح الشام) أن أذكر أن (ابن سعد) صاحب كتاب الطبقات.. هو كاتب الواقدي.. وقد عرف بذلك. وقد أخذ عنه علمه ورواياته.. فلو عرف ـ وهو كاتبه ـ أن خولة بنت الأزور، على هذا الجانب من البطولة ومن الأهمية، وأن أستاذه قد أفاض في الحديث عنها في كتابه (فتوح الشام) لما أهمل الإشارة إليها في طبقاته.. وقد ضمت من النساء من

هن أقل شأناً وشهرة.. إنه سبب مهم يضاف إلى أسباب كثيرة تجعل قصة (خولة بنت الأزور) أسطورة من الأساطير..

وسأذكر فيما يلي طرفاً من تلك الأسباب تلخيصاً لما سبق..

**لماذا هي أسطورة؟:**

١ ـ لأن جميع تراجم الصحابة المعتمدة، وكتب الطبقات، لم يرد بها أي ذكر لخولة بنت الأزور.

٢ ـ لم تترجم كتب الأدب القديمة المعتمدة لها بوصفها شاعرة، فلا هي في (الأغاني) ولا في (الشعر والشعراء) ولا في كتب الجاحظ مثلاً..

٣ ـ لم يذكرها (ابن طيفور) في كتابه (بلاغات النساء) مع عنايته في تتبع البليغات من النسوة.

٤ ـ لم يرد ذكرها ولا الإشارة إليها في تراجم (ضرار بن الأزور)، ولو كانت له أخت في مثل شهرتها لما أغفلتها ترجماته..

٥ ـ كذلك لم تشر تراجم (أرطأة بن سهية) الشاعر الأموي إلى أن له عمة بهذا الاسم، وأرطأة هو ابن ضرار بن الأزور، نسب إلى أمه أو إلى زفر بن عبد الله الذي تبناه.

كلمـــة ختـــام:

وبعد... فإن من الحق أن أذكر، أن الحيرة التي لازمتني، منذ اهتممت بأمر (خولـة بنت الأزور) وريبتي في حقيقة أمرها.. كانت على ما يبدو تلازم باحثاً آخر، بل أحسبه أسبق مني في الشك بأمرها.. باحث جليل، كـان يؤثر الصمت، فلا يكتب ولا ينشر شيئا.. هو الأستاذ الشاعر الكبير (أحمد عبيد) صاحب المكتبة العربية بدمشق، مؤلف كتاب (ذكرى الشاعرين) وإليه يعزى الفضل في نشر وإخراج نفائس المخطوطات[1]..

تعرفت على هذا الأستاذ الفاضل في لقاء شخصي بمكتبته في دمشق، فهش إليّ، وعني بما أبحث عنه من كتب.. وكنت مهتماً بأمر خولة فسألته عما إذا كانت هناك مؤلفات أفردت للحديث عنها.. فأجابني بالنفي.. على حد علمه.. ثم كاشفني بما يساوره من شك في أمرها.. لأنه لم يجد ترجمتها

(١) توفي الأستاذ أحمد عبيد رحمه الله سنة ١٣٠٩ هـ.

في أي كتاب قديم معتمد.. فتلاقى شكه وشكي.. بل تحول شكي إلى يقين...

وفوق كل ذي علم عليم.

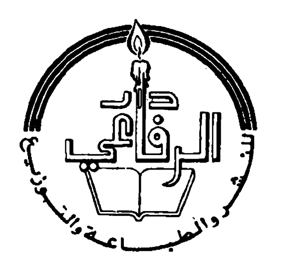
عبدالعزيز الرفاعي

لندن في ١٣٩٦/٨/٢٧ هـ
نزيل مستشفى هارلي استريت كلينيك

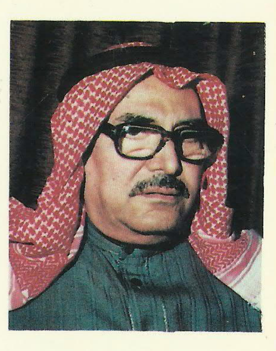
# الفهرس

تم فسح الكتاب من المديرية العامة للمطبوعات

برقم ٣٩٩٩/م وتاريخ ١٣/٦/١٤١٠ هـ



## الكاتب بقلمه



× ولدت في (أملج) وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر بالمملكة العربية السعودية، وذلك في رمضان ١٣٤٢هـ

× نشأت بمكة المكرمة، وحصلت على الشهادة الابتدائية من المدرسة العزيزية ثم على شهادة المعهد العلمي السعودي

× عملت موظفاً، ثم تقاعدت.

× هذا الكتيب واحد من رسائل صغيرة نشرتها.

عبد العزيز أحمد الرفاعي

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

الثمن: ٤ ريالات